

## علم الدلالة تعريفه وتاريخه

١- تعريف علم الدلالة: علم الدلالة فرع من فروع علم اللغة و مستوى من مستويات التحليل اللساني، شأنه في ذلك شأن الأصوات و الصرف والتركيب، ولهذا العلم أسماء عديدة في الفرنسية والانجليزية لكن أشهرها وأكثرها استعمالا هو مصطلح *sémantique* في الفرنسية، ومقابلته *semantics* في الإنجليزية.

أما في العربية فقد اختلف الدارسون في تحديد المصطلح الذي يقابلون به مصطلح *semantique* ، حيث ظهرت تسميات كثيرة لهذا العلم منها: علم المعنى، والسيمانتيك، وعلم الدلالة "سواء بفتح الدال أو كسرهما"، والداليات، والدالية، إلا أن علم الدلالة هو المصطلح الأشهر.

وعلم الدلالة عند معظم اللغويين هو "العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى " وعلم الدلالة عموما هو العلم الذي يدرس معاني الوحدات اللسانية، و هذه الوحدات قد تكون كلمات أو جمل أو ملفوظات .

## ٢- تاريخ علم الدلالة في العصور القديمة

أ- اليونان: لقد تعرض فلاسفة اليونان في بحوثهم و مناقشاتهم لموضوعات تخص الدلالة لأهميتها في التفكير الإنساني، وتعد قضية العلاقة بين اللفظ ومعناه من أهم القضايا الدلالية التي ناقشها الفلاسفة، و قد اختلفوا إزاءها فريقين: يرى الفريق الأول -وأشهرهم أفلاطون- أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة طبيعية، أما الفريق الثاني بزعامة أرسطو فيرى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه، علاقة اصطلاحية غير طبيعية لأن "للألفاظ اصطلاحا ناجما عن اتفاق و عن تراض بين البشر". وميز أرسطو بين الكلام الخارجي و الكلام الداخلي الموجود في العقل، ويعد هذا التمييز "أساس معظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى".

ب- الهندود : لقد اهتم الهندود بالقضايا الدلالية في اللغة الهندية(السنسكريتية) في وقت مبكر، خاصة و أن لغتهم هي السبيل لفهم كتابهم الديني(الفيدا)، والحقيقة أن الهندود "ناقشوا معظم القضايا التي يعدها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة". أهمها (نشأة اللغة، وعلاقة الكلمة بمدلولها، وأقسام الدلالة، وأهمية السياق).

ج- عند العرب: اهتم العرب بالدلالة بجميع أنواعها: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية القاموسية، فاهتمامهم بالدلالة الصوتية جاء ضمن مباحث علم الأصوات حيث أشاروا إلى دلالة الأصوات وأثر الأداء الصوتي على توجيه المعنى. واهتموا بالدلالة الصرفية في مباحث علم الصرف حيث رصدوا ما للصيغ من معان ودلالات صرفية. واهتموا بالدلالة النحوية ضمن مباحث علم النحو حيث رصدوا الوظائف النحوية ودورها في بناء المعنى العام للجملة. أما المعنى المعجمي وهو أهم أنواع المعاني والدلالات فقد كانت لهم جهود كبيرة ورائدة في جمع كلمات اللغة وتصنيفها وتحديد معانيها على النحو الذي جاء في كتب غريب القرآن وغريب الحديث، ولغات القبائل، والمعاجم اللغوية المتنوعة.

فللغرب جهود كبيرة في المباحث الدلالية، بمختلف اختصاصاتهم اللغوية والأصولية والفلسفية.

• اللغويون: لقد اهتم اللغويون بالدلالة اهتماما كبيرا، فابن فارس في المقاييس حاول ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها، والزمخشري في أساس البلاغة فرق بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، وربط ابن جني تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد، وتحدث عن أصول الاشتقاق و مناسبة الألفاظ للمعاني ومنها أيضا تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، أي تقارب الدلالة لتقارب حروف اللفظ، فابن جني يرى أن الألفاظ المتقاربة صوتيا تكون متقاربة في الدلالة ومثاله تؤزهم في قوله تعالى "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا" يقول ابن جني في ذلك "تؤزهم أزا: أي تزعجهم و تقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هذا والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين". وكانت المعاجم وما يدور حولها أهم المحطات المهمة في تاريخ الدراسات الدلالية عند اللغويين العرب.

• البلاغيون: تمثلت إسهاماتهم في دراستهم الحقيقة والمجاز، ودراسة كثير من الأساليب البلاغية، وقد وصلت ذروتها مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فضلا عن مجموعة من آرائه سواء في كتابه "أسرار البلاغة" أو كتابه "دلائل الإعجاز". وقد طرق الجاحظ في كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان" عدة مباحث لها ارتباط وثيق بمبحث الدلالة، يقول في البيان والتبيين: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك". وقد تحدث عن تساوي القدر بين اللفظ و المعنى، وناقش أصناف الدلالات وجمعها في خمسة أصناف، يقول في ذلك: "و جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا

تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، التي تسمى نصبة".  
• **الأصوليون والفلاسفة:** كان اهتمام الأصوليين بالمباحث اللغوية ومنها الدلالية ناتج عن طبيعة حقلهم الدلالي الذي يتطلب منهم الإلمام بجميع نواحي اللغة تقريبا، وهكذا نجدهم قد تعرضوا لعدد من المباحث الدلالية في مؤلفاتهم منها العلاقة بين اللفظ والمعنى ومبحث الحقيقة والمجاز والاشتراك اللفظي والترادف العام والخاص، إلى غير ذلك من المباحث التي تعد من صميم البحث الدلالي. ومن ذلك مثلا أن الإمام الشافعي في كتابه الرسالة أشار إلى طرق تخصيص الدلالة و تعميمها باعتبار القرائن اللفظية و العقلية.

أما الإمام أبو حامد الغزالي فقد وضع عدة أسس لفهم معاني النص الشرعي، و هذه الأسس و إن اختلفت بالنص الشرعي فإنها يمكن أن "تطبق أيضا في معاني أي نص غير شرعي ما دام مصوغاً في لغة عربية"، وتحدث عن طرق تقسيم الدلالة: المنظوم و المفهوم و المعقول.

\*أما إسهامات الفلاسفة فلا تقل أصالة و دقة عن إسهامات الأصوليين، وأبرزهم الفارابي، وابن سينا وابن رشد والقاضي عبد الجبار، وغيرهم.

### تعريف الدلالة:

الدَّالَّة-في اللغة- بفتح الدال وكسرها مصدر من الفعل دَلَّ، أي أرشد، والجمع دلائل ودلالات، وقال ابن دريد: الدَّالَّة بالفتح حِرْفَةُ الدَّالِّ. ودَلِيلٌ بَيِّنُ الدَّالَّةِ بالكسر لا غير.

وفي الاصطلاح: "كون الشيء بحالة يلزم العلم به العلم بشيء آخر".

### تقسيمها:

- ١- الدلالة العقلية هي "دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه" ومثالها دلالة الدخان على النار.
- ٢- أما الدلالة الطبيعية فهي "دلالة يجد العقل بين الدال و المدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه"، فمثلا نعرف عندما نسمع أحدا يقول "آه" أنه يتألم، فهي دلت دلالة طبيعية على الألم.
- ٣- أما الدلالة الوضعية فهي الدلالة التي تنشأ عن طريق الاصطلاح والاتفاق بين أفراد الجماعة اللسانية بمعنى "جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني"

### نشأة علم الدلالة الحديث:

ظهرت أوليات علم الدلالة وبوادره خلال القرن التاسع عشر في أعمال مجموعة من الباحثين أهمهم:

• ماكس مولر Max Mullar الذي صرح في كتابين له أن الكلام والفكر متطابقان تماما.

• رايزغ KALL Raiziz وعلم الدلالة عنده ليس علما قائما بذاته، وإنما هو إلى جانب التركيب والمورفولوجيا جزء مكون للنحو.

وإذا كانت هذه الأعمال التي أشرنا إليها مجرد أوليات فإن ظهور هذا العلم كدراسة علمية للدلالة وكعلم مستقل بذاته يعود في رأي معظم اللغويين ومؤرخي هذا العلم إلى الفرنسي ميشيل بريال 1883 Michel Breal من خلال مقاله الشهير Essai de sémanique، وكان أول من استعمل مصطلح Sémanique للدلالة على علم خاص لدراسة المعنى وعرفه بالقوانين التي تسهر على تحول المعنى، فموضوع علم الدلالة حسب بريال، هو البحث في التحولات التي تطرأ على معاني الكلمات، ومحاولة اكتشاف القوانين المتحكمة في هذه التحولات.

وفي سنة ١٨٨٧ أصدر بريال كتاب (Essai de sémanique) وهو تطوير للمقالة أطلقها على هذه الدراسة اسم "سيمانتيك" للدلالة على علم المعاني.

وقد توالى التأليف في مجال الدلالة بعد بريال بهدف تطوير الدرس الدلالي، فالعالم السويدي (1854-1925) Adolf Noreen خصص في كتابه " لغتنا " قدرا مهما لدراسة المعنى، أما العلم نيروب Kristof Myrop فقد خصص مجلدا كاملا للتطور الدلالي في كتابه " دراسة تاريخية لنحو اللغة الفرنسية " كما أن Gustaf stern نشر دراسة عن المعنى وتطوره. أما صاحب المحاضرات السويسري فردناند ديسوسير فقد طرق عدة مباحث تعد من صميم البحث الدلالي، إذ خصص فصلا في كتابه للدلالة تحدث فيه عن الدليل اللغوي ومجموعة مسائل تتعلق بهذا الدليل كمسألة اعتبارية الدليل وخطية الدال والتحول والثبات.

وفي سنة ١٩٢٣ ظهر كتاب " معنى المعنى " للأستاذين أوجدن Ogden وريتشارد Richard وهو كتاب مهم، انتشر انتشارا كبيرا في الأوساط المعرفية بعامة واللغوية على وجه الخصوص، وقد حاول الأستاذان أن يضعوا من خلاله نظرية للعلامات والرموز، وقدموا فيه ستة عشر تعريفا للمعنى وهذه التعريفات تمثل فقط أشهر التعريفات، ذلك أنهم استثنوا كل التعريفات الفرعية للمعنى.

وكتاب دي سوسير فتح الباب أمام مجموعة من الدارسين والباحثين الذين أسهموا كلٌ بنصيبه في ميلاد المرحلة الثانية وهي مرحلة علم الدلالة البنيوي. وفي أمريكا تم تسليم المعنى إلى غير اللغويين اللذين أحسوا بأن المعنى يستعصي على الدراسة كما نجد عند بلومفيلد الذي خصص في كتابه " اللغة " فصلا للدلالة، ليبين أن تحليل الدلالة تستعصي على الدراسة العلمية، فلا يمكن أن تعالج الدلالة في إطار اللسانيات وما تعالج الأصوات، فدراسة المعنى في نظر بلومفيلد تعد أضعف نقطة في الدراسة اللغوية.

وإذا كان العلماء في أمريكا خلال المرحلة البنيوية لعلم الدلالة قد أهملوا المعنى نسبياً، فإن هذا الأمر قد تغير خلال المرحلة الثالثة من مراحل هذا العلم، وهي المرحلة التوليدية، التي انتصر فيها للمعنى بوضوح في أبحاث كاتز وفودو وبوسطال وفي نموذج ١٩٦٥ عند تشومسكي. ولا زال التأليف مستمرا في هذا العلم الذي أصبح حاضرا بشكل أو بآخر في كل الدراسات اللسانية الحديثة.